



الدولة إن حكّت

منذ ان دخل غسان سلامة الحكومة، وزيراً اصيلاً للثقافة، والبعض يضيف وزيراً بديلاً للعلاقات الدولية، بدا عازماً على تجنّب كل المطبّات التي ينطوي عليها جمعه بين المسؤولية السياسية المستجدة عليه وصفة المثقف الملازمة لمسيرته المهنية والفكرية. واذ جرت العادة ان تعود عليه مؤهلاته الثقافية بالمدائح، سواء من اللبنانيين او من الاجانب، كلما خطب في مؤتمر او دشن نشاطاً فنياً، الا انه اعطى بوضوح الاولوية للمهام التنظيمية والعمالية، ولا سيما التحضير للقمّتين العربية والفرنكوفونية.

وكأنه اراد، بانغماسه في العمل، حماية نفسه من كثرة التساؤلات التي تثيرها في اي عقل نير ممارسة السياسة، وخصوصاً في لبنان. لكن الدرع التي كان يتقي بها من انعكاسات تجربته الرسمية تشققت يوم امس حين قام سلامة، وفي لحظة صفاء مميزة، باخضاع ما لمسه من معاشته دوائر السلطة الى تحليل العالم السياسي. ربما كان وجود سلامة بين زملاء له من اساتذة العلوم السياسية هو الذي دفعه الى هذه الوقفة. او ان موضوع المؤتمر الذي كان يفتتحه هو الذي حرك السياسي فيه. والحق ان عنوان المؤتمر الذي تستضيفه كلية الحقوق والعلوم السياسية حول "المواطنة وتفكيك الدولة" يحمل للوهلة الاولى شيئاً من الاستفزاز في بلد مثل لبنان. طبعاً، تفكيك الدولة ليس تفككها. التفكك عانيه ولا نزال. اما التفكيك (deconstruction)، فهو يتصل بالبعد النظري ويحيل على التبدل الذي يطاول مفهوم الدولة في عصر العولمة والهويّات المركبة.

الا ان الموضوع يبقى مثيراً لتساؤل مقلق، كما ظهر من كلام سلامة الذي وجد نفسه امام ضرورة مراجعة اخفاقات بناء الدولة في لبنان، فجاء تحليله مفعماً بالمرارة، وان رفض التشاؤم. بين "مجتمع مدني" لا يُظهر رغبة عارمة وواضحة في بناء دولة، يقول سلامة، بل يكفي بمطالبات خاصة، فردية او جماعية، و"مجتمع سياسي" لا يفلح في صهر مكوّناته، فيبقى الرأسمالي رأسمالياً والعسكري عسكرياً ورجل الدين رجل دين، يظل عمل المؤسسات اشبه بالمقاصّة بين المصارف، فيما يتغير النظام كل فترة من رئاسي الى نيابي الى جماعي بالمحاصصة (الترويكا) فرئاسي، فثنائي فمجدداً ثلاثي، دون ان يرسو على تقاليد ثابتة. والاصح ان المجتمع السياسي لم يستقر على صيغة محددة، فلم يستفد من استتباب السلم الاهلي لاثراء اتفاق الطائف، وتطويره، على حد ما قال سلامة، من وسيلة ناجحة للخروج من الحرب بارضاء المتحاربين الى اطار دستوري يلحظ ما هو اكثر ملائمة لتأطير الحكم.

لم يكن تحليل سلامة، كما فهمه بعض الحضور، خطاب استقالة. ولا هو بيان للتصل من المجتمع السياسي، تحييداً للوزير او ارضاء لضمير المثقف، ولا دعوة الى ثورة من فوق تدعي اختراع مجتمع جديد قسرياً. انه مجرد وصف مرير لمكامن الضعف الهائلة في البنيان الوطني. ولو كان للدولة ان تحكي (الدولة، وليس السلطة)، لما قالت غير ذلك. اصلاً، لا حاجة الى ان يكون المرء



وزيراً حتى يستشعر فداحة الوضع. فالنظرة "من الخارج" لا تفيد دروساً اقل قساوة، عندما يبدو الشغل الشاغل لاطراف السلطة الوقوف كل عند مصلحته الخاصة، وعندما يستقيل المواطنون، فاذا دعوا الى انتخاب، انشغلوا في رصد "الخدمات" لا الخيارات، وقبلوا سلفاً حكم القدر.

سمير قصير



Id-Reference	02-Pr-000506	
Media	(Support)	HC
Title		الدولة إن حكمت
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تتمة ٢١
Date		٢٠٠٢/٥/٣١
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	غسان سلامة
	Locations	لبنان - كلية حقوق علوم سياسية
	Dates	
	Themes	غسان سلامة - وزير ثقافة - حكومة حرييري - علاقات دولية - مؤتمر "مواطنة تفكيك دولة" - لبنان - بناء دولة - سلم أهلي - نظام لبناني - بنيان وطني - إنفاق طائف
Subject		